

﴿اتَّبِعْ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۖ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: 106]

❁ مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

بعد أن بيّن في الآية السابقة حال المعارضين، وأنهم مهما اتّهموا بالآيات وتكاثرت، فإنهم يخترعون لأنفسهم حُججًا، وشُبّهًا كثيرةً، يتشبّهون بها، فبيّن هنا ما أوجبه الله على رسوله حيال ذلك، وهو اتّباع الحقّ ممّا أنزل الله، فقال تعالى هنا أمرًا رسوله باتّباع ما أوحى إليه من الآيات، وبالإعراض عن المشركين؛ إذ قدّم منهاجًا قويًّا في التعامل مع هؤلاء المنكرين للآيات البينات، فقال تعالى: ﴿اتَّبِعْ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۖ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾، فأمره بالاتباع والإعراض في آية واحدة: اتّباع ما أنزل، والإعراض عن المشركين؛ لأنهم أعرضوا عمّا أنزل إليك، وأداة النجاة في ذلك كلّهُ هو التّوحيد.

مَوْقِفُ الْمُعَانِدِينَ
يَسْتَدْعِي الثَّبَاتَ
عَلَى أَرْكَانِ الدِّينِ

❁ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿اتَّبِعْ﴾: جذر الكلمة هو (تبع)، والتّابع: التّالي، ومنه: التّتبّع والمتابعة، والاتّباع، ويتّبعه: يتلوّه، والتّتبّع: فعلك شيئاً بعد شيءٍ، تقول: تتبّعتُ علمه، أي: اتّبعْتُ آثاره، والمتابعة أن تتّبعه هواك وقلبك⁽¹⁾. ومعنى اتّبع: لحقّ، وقيل: معنى اتّبعه: سار خلفه، واتّبعه، مُشدّداً: حذا حذوه⁽²⁾، ومعنى الاتّباع في الآية: الإيمان والعمل بمقتضى ما أوحى الله تعالى إلى رسوله من الآيات البينات.

(2) ﴿وَأَعْرِضْ﴾: جذر الكلمة هو (عرض)، عَرَضَ الشَّيْءُ يَعْرِضُ

(1) الفراهيديّ، العين: (تبع).

(2) السّبّتي، مشارق الأنوار: (تبع).

عرضًا، فهو عريضٌ، واعترضتُ عُرَضَ فلانٍ، أي: نحوْتُ نحوه⁽¹⁾، وأعرض عني: ولَّى مُبَدِّيًا عرضهُ⁽²⁾، وهذا هو المعنى المراد في الآية الكريمة، وهو الإعراض عن الجاهلين، ونظيره قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا﴾ [السجدة: 22].

❁ المعنى الإجمالي:

شرطُ اتباعِ
الوحي التَّوْحِيدِ
والإعراضِ عنِ
المُشْرِكِينَ

التَفَتَ الْخِطَابُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِمَا يَتَضَمَّنُ تَثْبِيتهُ وَتَسْلِيتهُ، فَقَالَ: ﴿اتَّبِعْ مَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾، فَقَوْلُهُ: ﴿اتَّبِعْ مَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ أَمْرٌ لِلرَّسُولِ بِاتِّبَاعِ الْوَحْيِ وَالسَّيْرِ عَلَى نَهْجِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَلَا يَصُدَّنَّهُ عَنْهُ إِعْرَاضُ الْمُعْرِضِينَ وَالْمُعَانِدِينَ، وَاتِّبَاعُ الْوَحْيِ يَقْتَضِي الْاسْتِمْرَارَ فِي دَعْوَةِ النَّاسِ إِلَى الْإِيمَانِ حَتَّى إِنْ أَعْرَضُوا عَنِ الْوَحْيِ وَعَنِ الرِّسَالَةِ، فَخَاطَبَهُ بِخِطَابِ الرُّبُوبِيَّةِ قَائِلًا: ﴿مِنْ رَبِّكَ﴾، ثُمَّ اتَّبَعَهُ بِخِطَابِ الْأُلُوْهِيَّةِ، فَقَالَ: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾، فَلَا شَرِيكَ لَهُ فِي الْعِبَادَةِ وَالْإِتِّبَاعِ سُبْحَانَهُ وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ بِالصَّبْرِ وَالْحِلْمِ، فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعَنْ تَعْنُتِهِمْ، فَيَكُونُ الْإِعْرَاضُ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ضَرُورَةً لِحَقِيقِ الْإِتِّبَاعِ الصَّحِيحِ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ فِيمَا أَوْحَى إِلَى رَسُولِهِ.

❁ الإيضاح اللغوي والبلاغي:

معنى الاستئناف في قوله تعالى: ﴿اتَّبِعْ مَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾:

الأمرُ باتِّباعِ
الوحي أمرٌ
سابقٌ للإعراضِ
عَنِ الْمُشْرِكِينَ

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿اتَّبِعْ مَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾: بَعْدَ أَنْ بَيَّنَّتِ الْآيَةُ إِعْرَاضَ الْمُعْرِضِينَ وَاتِّهَامَ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ، فَاسْتَأْنَفَتِ الْآيَةُ اللَّاحِقَةُ مَخَاطَبَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِأَمْرِهِ بِاتِّبَاعِ مَا يُوْحَى إِلَيْهِ وَالْإِعْرَاضِ عَنِ ادِّعَاءَاتِ الْمُدَّعِينَ، وَمَا قَوْلُهُمْ: (دَرَسَتْ) إِلَّا دَلِيلٌ عَلَى عَظِيمِ مَا

(1) الفراهيدي، العين: (عرض).

(2) الرَّاغِبُ الْأَصْفَهَانِيُّ، الْفُرْدَاتِ: (عرض).

جاءتكَ مِنَ الْآيَاتِ الْكَرِيمَةِ، فَاتَّبِعْ مَا أَوْحَى اللَّهُ إِلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ
والتَّشْرِيعِ وَالْعِلْمِ.

سِرُّ التَّعْبِيرِ بِالْأَتْبَاعِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿اتَّبِعْ مَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾:

جاء في قوله تعالى: ﴿اتَّبِعْ مَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ أَمْرُ الرَّسُولِ ﷺ بِالْأَتْبَاعِ وَهُوَ أَمْرٌ لَهُ وَلِأُمَّتِهِ، مِمَّنْ اتَّبَعَهُ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَلَا مَنَاصَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَتْبَاعِ الْوَحْيِ؛ لَكِنَّهُ أَرَادَ بِذَلِكَ الْأَمْرَ الْأُمَّةَ كُلَّهَا؛ إِذْ تَكَرَّرَ مُوَاقِفُ إِعْرَاضِ الْمُعَارِضِينَ عَنْ دِينِ اللَّهِ فِي كُلِّ عَصْرِ وَمِصْرٍ، وَتَنَوَّعَ افْتِرَاءَاتُ الْمُشْرِكِينَ وَالْمُحَدِّثِينَ عَلَى آيَاتِ اللَّهِ وَكِتَابِهِ، فَلَا يَكُونُ أَمَامَ الْمُخَاطَبِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ الْأَتْبَاعِ فَهُوَ سَبِيلُهُمْ إِلَى النِّجَاةِ، وَصِيَانَةِ دِينِهِمْ، وَضَمَانِ نَجَاتِهِمْ، وَعَبَّرَ بِالْأَتْبَاعِ؛ لِأَنَّهُ التَّزَامُ الْمَتَّبِعُ جَمْلَةً وَتَفْصِيلًا دُونَ قُصُورٍ أَوْ تَقْصِيرٍ فِي الْوَسَائِلِ وَالْغَايَاتِ، فَالْأَتْبَاعُ هُوَ سِرُّ الْقَبُولِ، وَسَلَّمُ الْوُصُولِ.

غَرَضُ الْأَمْرِ بِالْأَتْبَاعِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿اتَّبِعْ مَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ جَاءَ الْأَمْرُ بِالْأَتْبَاعِ مَحْمُولًا عَلَى الْوُجُوبِ؛ إِذْ لَا مَنَجَى غَيْرُ الْأَتْبَاعِ، وَوُجُوبُ التَّزَامِ أَوَامِرِ الْوَحْيِ وَنَوَاهِيهِ وَتَوْجِيهَاتِهِ، وَمَا أَتَى بِهِ الْوَحْيُ هُوَ الرِّسَالَةُ وَهُوَ الْمُعْجَزَةُ، وَهَذَا مَا امْتَارَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ سَائِرِ الرُّسُلِ، فَكَانَتْ رِسَالَتُهُ هِيَ مُعْجَزَتُهُ، وَغَرَضُ الْأَمْرِ هُوَ الْإِلَهَابُ وَالْتَّهْيِيجُ، إِذْ مُتَّبِعُ لِلْوَحْيِ، فَأَمْرُ الْمُتَمَثِّلِ يَقْتَضِي تَثْبِيئَهُ.

فَائِدَةُ التَّعْبِيرِ بِـ (مَا):

﴿مَا﴾ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿اتَّبِعْ مَا أَوْحَى﴾ اسْمٌ مُوصُولٌ بِمَعْنَى (الَّذِي)، وَجَمْلَةٌ صِلَةِ الْمُوصُولِ جَمْلَةٌ فَعْلِيَّةٌ لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهَا، وَهُوَ ﴿أَوْحَى﴾، وَ(مَا) تَقَعُ عَلَى ذَوَاتِ مَا لَا يَعْقِلُ، وَعَلَى صِفَاتٍ مَنْ يَعْقِلُ، وَبِذَلِكَ فَإِنَّ (مَا) أَكْثَرُ إِبْهَامًا مِنْ (مَنْ)، وَتَقَعُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ (1)، وَقَدْ

الْأَتْبَاعُ هُوَ
التَّزَامُ الْمَتَّبِعُ
جَمْلَةً وَتَفْصِيلًا
فِي الْوَسَائِلِ
وَالْغَايَاتِ

الْإِلَهَابُ
وَالْتَّهْيِيجُ بِقَصْدِ
التَّثْبَاتِ وَالِدَّوَامِ

أَتْبَاعُ الْوَحْيِ
وَاجِبٌ فِي
عُمُومِ تَفَاصِيلِهِ
وَجَزْئِيَّاتِهِ بِلَا
اسْتِثْنَاءٍ

(1) سيبويه، الكتاب: 2/309.

أَتَّبِعَ الْأَمْرَ بِالْإِتِّبَاعِ بـ ﴿مَا﴾ دُونَ (الَّذِي)، وَفَائِدَةُ ذَلِكَ أَنَّ عَلَيْكَ الْإِتِّبَاعَ التَّامَّ لِكُلِّ مَا جَاءَ فِي الْوَحْيِ دُونَ إِدْرَاجِ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ فِي مَسَلِّكَ الْقَبُولِ أَوْ الرَّدِّ مِنْ جِهَةِ الْعَقْلِ؛ لِأَنَّ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّمَا هُوَ الْحَقُّ الْمَطْلُوقُ الَّذِي يَسْتَحِيلُ عَلَى الْعَقْلِ الْبَشَرِيِّ الْمَقْدِرَةُ عَلَى تَحْكِيمِهِ قَبُولًا أَوْ انْكَارًا.

بِلَاغَةُ بِنَاءِ الْفِعْلِ لِلْمَفْعُولِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أُوحِيَ﴾:

توجيه الإتيان
للوحي ثم بيان
المصدر دليل
صدق وأمانة
حق

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾: لَمْ يَقُلْ: (اتَّبِعْ مَا أَوْحَى اللَّهُ إِلَيْكَ)، فَجَاءَ بِهِ مَبْنِيًّا لِلْمَفْعُولِ، ثُمَّ بَيَّنَّ الْفَاعِلَ بِقَوْلِهِ: ﴿مِنْ رَبِّكَ﴾، وَمَنْ الْمَعْلُومُ أَنَّ سِيَاقَاتِ الْكَلَامِ تَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الْمَقَامِ، وَالْفِعْلُ الَّذِي لَمْ يَسَمَّ فَاعِلُهُ قَدْ جَاءَ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ؛ لِيَدُلَّ فِي كُلِّ سِيَاقٍ حَسَبَ اقْتِضَاءِ الْمَعْنَى، وَقَدْ أَبرَزَ فِي هَذَا السِّيَاقِ، وَأَفَادَ تَعْمِيمَ قَضِيَّةِ الْوَحْيِ وَالْإِيحَاءِ، وَتَنَوُّعَ طَرِيقِهِ الَّتِي عَاشَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَيَكُونُ هَذَا الْوَحْيُ بِتَمَثُّلِ جَبْرِيلَ ﷺ لَهُ أَوْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مِنْهُ أَوْ يَعْيِهِ بِغَيْرِ صَوْتٍ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾ [الشورى: 51]، فَهُمَا تَنَوَّعَتِ تِلْكَ الْوَسَائِلُ وَالْآيَاتُ، لَكِنَّهَا جَمِيعًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى وَلَا تَمَيِّزَ وَلَا فَرْقَ فِي الْآيَاتِ الَّتِي أُوحِيَتْ إِلَيْكَ، فَكُلُّهَا مِنْ عِنْدِ رَبِّكَ، وَقَدْ أَدَّى أَسْلُوبُ الْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ تَصْوِيرًا دَقِيقًا فِي النَّصِّ لِأَحْدَاثِ الْمَشْهَدِ الْغَيْبِيِّ الَّذِي غَابَتْ دَقَائِقُهُ عَنِ الْمُتَلَقِّي أَوْ خَفَتْ عَنْ ذَهْنِهِ وَخَيَالِهِ.

وَمَعْرُوفٌ أَنَّ الْوَحْيَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِوَسِطَةِ جَبْرِيلَ ﷺ فَهَذِهِ هِيَ حَقِيقَةُ الْإِيحَاءِ، ثُمَّ بَيَّنَّ الْفَاعِلَ بِقَوْلِهِ: ﴿مِنْ رَبِّكَ﴾؛ فَاخْتَفَتِ الْوَاسِطَةُ، وَجَعَلَ الْإِيحَاءَ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ رَسُولِهِ إِحْيَاءً مُبَاشَرًا؛ لِبَيَانِ عَظِيمِ الصَّلَةِ بَيْنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَلِبَيَانِ عَظِيمِ شَأْنِ تِلْكَ الْآيَاتِ الَّتِي أَوْحَاهَا اللَّهُ تَعَالَى إِلَى رَسُولِهِ.

إخفاء واسطة
الإحياء تكشف
عن عظيم
الصلة بين الله
ورسوله

نكتة اقتران فعلي الأمر «اتَّبِعْ» و«أَعْرِضْ»:

قوله: «اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ»، وقوله: «وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ» استئناف في خطاب النبي ﷺ بأمره بالاتباع والإعراض عن بهتان المشركين، والأكثر بأقوالهم، وبينهما طباق، فابتدأوه بالأمر بالاتباع ما أوحى إليه ينزل منزلة المقدمة للأمر بالإعراض عن المشركين، وليس هو المقصد الأصلي من الغرض المسوق له الكلام؛ لأنَّ اتِّباعَ الرسول ﷺ ما أوحى إليه أمر واقع بجميع معانيه، فالمقصود من الأمر الدوام على اتِّباعه، والمعنى: أعرض عن المشركين اتِّباعاً لما أنزل إليك من ربِّك⁽¹⁾.

المجاز المرسل في لفظ الاتِّباع:

الاتباع في الأصل اقتفاء أثر الماشي، ثمَّ استعمل في العمل، كما في قوله: «وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ» [التوبة: 100]، ثمَّ استعمل في امتثال الأمر والعمل بما يأمر به المتبوع فهو الائتمار، ويتعدى فعله إلى ذات المتبع، فيقال: اتَّبعْتُ فلاناً بهذه⁽²⁾، و«اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ» بالتدوين به، وقوله: «لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ» اعتراض أكد به إيجاب الاتِّباع⁽³⁾، وإطلاق الاتِّباع بمعنى الائتمار شائع في القرآن؛ لأنَّه جاء بالأمر والنهي، وأمر النَّاسَ باتِّباعه، واستعمل أيضاً في معنى الملازمة على سبيل المجاز المرسل؛ لأنَّ مَنْ يتبع أحداً يلزمه، فيجوز أن يكون الاتِّباع في الآية مراداً به دوام الامتثال لما أمر به القرآن، من الإعراض عن أذى المشركين وعنادهم، فالاتباع المأمور به اتِّباع في شيء مخصوص، وهذا مأمور به غير مرَّة، فالأمر بالفعل مستمر في الأمر بالدوام عليه⁽⁴⁾.

فَنُ الطَّباق بين
الأمر والنهي
اكتمال في
رسوخ الدِّين
وتمام في تثبيت
دعوة المرسلين

اتِّباع أوامر الله
التزام للمقتضى
وامتثال
للمرتضى

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 7/423.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 7/423.

(3) البيضاوي، أنوار التنزيل: 2/177.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 7/424.

نكتة إنبار لفظ الإحياء على الإنزال:

الوحي أشمل
من دلالة الإنزال
وأعم من لفظ
القرآن

في قوله تعالى: ﴿اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ ذَكَرَ الْوَحْيَ دُونَ الْإِنزَالِ أَوْ الْقُرْآنِ؛ فَلَمْ يَقُلْ: (مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ) أَوْ (اتَّبِعِ الْقُرْآنَ)؛ لِتَضْمِينِهِ مَعْنَى الْإِنزَالِ، وَدَلَالَتِهِ عَلَى لَفْظِ الْقُرْآنِ، فَإِنَّ لَفْظَ الْإِحْيَاءِ اشْتَمَلَ الْوَحْيَ بِمَفْهُومِهِ الْعَامِّ، وَالْإِنزَالُ بِمَفْهُومِهِ الْخَاصِّ، وَهَذَا أَوْجَزُ لَفْظًا، وَأَشْمَلُ مَعْنَى، وَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ وَحْيُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَاللَّفْظُ وَالْمَعْنَى، وَلِتَنْبِيهِ الْمُخَاطَبِ إِلَى أَنَّ الْوَحْيَ أَشْمَلُ مِمَّا يَرَاهُ النَّاسُ فِي النَّازِلِ، وَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَأْمُورٌ بِاتِّبَاعِ مَا يَعْرِفُهُ النَّاسُ، وَمَا لَا يَعْرِفُونَهُ مِنْ خُصُوصِ الْوَحْيِ وَعُمُومِهِ لَا مِنْ عُمُومِ الْإِنزَالِ.

سِرُّ ذِكْرِ قَيْدِ ﴿إِلَيْكَ﴾، وَعَدَمُ الْاِكْتِفَاءِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مِنْ رَبِّكَ﴾:

خصوصية
الإحياء بالنبي
مبعث
تكريم

سَيَأْتِي الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ هُوَ فِي رَدِّ اتِّهَامِ الْمُشْرِكِينَ، فَكَانَ قَوْلُهُ: ﴿إِلَيْكَ﴾ مَبِينًا أَنَّ الْإِحْيَاءَ كَانَ مُنْتَهَاهُ إِلَيْهِ، وَأَنَّ مَنْ يُوحَى إِلَيْهِ، فَلَا مَجَالَ لَوْقُوعِ الشَّكِّ فِي قَلْبِهِ، وَلَا مَنَاصَ لَهُ إِلَّا بِالْإِتِّبَاعِ، فَجَاءَتْ ﴿إِلَيْكَ﴾ تَوْكِيدًا لِعَظِيمِ شَأْنِ الْمُخَاطَبِ، وَهُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَوَّلًا، وَلِعَظِيمِ شَأْنِ الرِّسَالَةِ ثَانِيًا، وَيَدُلُّ الْقَيْدُ عَلَى الْخُصُوصِيَّةِ، فَهُوَ إِحْيَاءٌ خَاصٌّ بِهِ ﷺ وَهَذِهِ الْخُصُوصِيَّةُ مَبْعَثُ تَكْرِيمٍ، وَمَنْشَأُ تَعْلِيمٍ.

دلالة استعمال حرف ﴿من﴾ في قوله تعالى: ﴿مِنْ رَبِّكَ﴾:

مبدأ الإحياء
من عند الله
سيحانه ففيه
تبجيل وتفخيم

مَعْنَى ﴿مِنْ﴾ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ لِلْإِبْتِدَاءِ، أَيْ: لَا بِإِبْتِدَاءِ وَقُوعِ الْحَدَثِ، فَمَعْنَى الْآيَةِ أَنَّ حَدَثَ الْإِحْيَاءِ وَقَعَ ابْتِدَاءً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ سَبْحَانَهُ فَإِنْ كَانَ جَبْرِيلُ ﷺ هُوَ الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَكَ بِالْآيَاتِ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ الْحَدَثَ قَدْ بَدَأَ مِنْ عِنْدِ رَبِّكَ، فَفِيهِ تَكْرِيمٌ وَتَبْجِيلٌ وَتَفْخِيمٌ.

نكتة ذكر ﴿رَبِّكَ﴾ وإضافتها إلى ضمير المخاطب:

أَتَى بِلَفْظِ الرُّبُوبِيَّةِ، وَلَمْ يَقُلْ: (مَنْ اللَّهُ)؛ لِأَنَّ الرُّبُوبِيَّةَ هِيَ

الَّتِي تُشْعِرُ بِالرَّعَايَةِ وَالتَّوْبَةِ، فَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَحْتَاجُ إِلَى رَعَايَةٍ خَاصَّةٍ فِي تَصْدِيقِهِ فِي أَمْرِ الرِّسَالَةِ، وَهَذَا مِنْ تَكْرِيمِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِبَيَانِ عَظِيمِ الْإِرْتِبَاطِ بَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى وَبَيْنَ رَسُولِهِ، وَمِنْ إِظْهَارِ مَكَانَةِ الرِّسَالَةِ.

ذَكَرَ الرَّبُّوبِيَّةَ
تَكْرِيمًا لِلرَّسُولِ
وَتَصْدِيقًا
لِلرِّسَالَةِ

غَرَضُ إِيْرَادِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ:

قَوْلُهُ: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ اعْتِرَاضٌ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ الْمُتَعَاطِفَيْنِ، مُؤَكِّدٌ لِإِجْبَابِ اتِّبَاعِ الْوَحْيِ، وَلَا سِيَّمًا فِي أَمْرِ التَّوْحِيدِ، وَقَدْ جُوِّزَ أَنْ يَكُونَ حَالًا مِنْ رَبِّكَ؛ أَيُّ مُنْفَرِدًا فِي الْأُلُوْهِيَّةِ⁽¹⁾. وَالْمَقْصُودُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ إِدْمَاجُ التَّذْكِيرِ بِالْوَحْدَانِيَّةِ؛ لَزِيَادَةِ تَقَرُّرِهَا وَإِغَاظَةِ الْمُشْرِكِينَ، وَجُمْلَةً: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ إِيْغَالٌ فِي عَظِيمِ شَأْنِ اللَّهِ، وَعَظِيمِ شَأْنِ الْوَحْيِ، فَقَالَ: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾، فَطَلَبَ التَّوْحِيدَ الْخَالِصَ مَعَ الْإِتِّبَاعِ، فَيَكُونُ التَّوْحِيدُ هُوَ الثَّمَرَةُ الْأَعْظَمُ لِلْإِتِّبَاعِ.

إِدْمَاجُ التَّوْحِيدِ
بَيْنَ الْأَمْرِ بِالْإِتِّبَاعِ
وَالْإِعْرَاضِ عَنِ
الْمُشْرِكِينَ

الْحَصْرُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾:

حَصَرَ الْأُلُوْهِيَّةَ بِذَاتِ اللَّهِ تَعَالَى فَمَنْ خَلَقَ الْكَوْنَ مِنْ لَا شَيْءٍ، وَأَبْدَعَهُ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ سَابِقٍ، هُوَ وَحْدَهُ الْإِلَهُ الْحَقُّ، الْمُهَيِّمُ عَلَى خَلْقِهِ، مُرْسِلُ الرُّسُلِ، وَمُنْزِلُ الرِّسَالَاتِ، وَالْقَيُّومُ عَلَى جَمِيعِ مَا خَلَقَ، فَذَكَرَ تَوْحِيدَ الْأُلُوْهِيَّةِ فِي قَوْلِهِ: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ تَرْسِيخًا لِعَظِيمِ شَأْنِ الْوَحْيِ الَّذِي أَوْحَاهُ سُبْحَانَهُ إِلَى رَسُولِهِ، وَقَيُّومِيَّتِهِ عَلَى ذَلِكَ، وَعَلَى آيَاتِهِ فِي خَلْقِهِ وَآيَاتِهِ فِي كِتَابِهِ سُبْحَانَهُ.

حَصَرَ الْأُلُوْهِيَّةَ
عَلَى اللَّهِ
وَاسْتَحْقَاقُ
الْعِبَادَةِ هُوَ
مَحَوِّزُ الْخُطَابِ
الْقُرْآنِيِّ عَامَّةً

بِلَاغَةُ الْوَصْلِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾:

عَطَفَ جُمْلَةَ الْأَمْرِ بِالْإِعْرَاضِ عَنِ الْمُشْرِكِينَ عَلَى جُمْلَةِ الْأَمْرِ بِاتِّبَاعِ مَا أُوحِيَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ، فَوَصَلَ بَيْنَ جُمْلَتَيْنِ إِنْشَائِيَّتَيْنِ، فَالْإِعْرَاضُ عَنِ الْمُشْرِكِينَ هُوَ امْتِدَادٌ لِاتِّبَاعِ مَا أُوحِيَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ،

(1) أبو السَّعُود، إِرْشَادُ الْعَقْلِ السَّلِيمِ: 3/171.

الإعراض عن
المشركين هو
امتداد لا تباع ما
أوحى الله إلى
رسوله

اتباع الوحي هو
الامتثال، ولا
يتم إلا بالإعراض
عن المشركين

الإعراض
يتضمن عدم
الطاعة بخلاف
العكس

فلا يكون أتباعاً كاملاً إن لم يُتَمَّم بالإعراض عن المشركين، فأدَّى الوَصْلُ بالواوِ بين الجُمْلَتَيْنِ وظِيفَةُ الرَّبْطِ لِمَنْظُومَةِ الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ عَلَى ضَمَانِهَا وَصِيَانَتِهَا مِنْ شُبُهَاتِ الْبَاطِلِ، فَيَكُونُ الْإِتِّبَاعُ لِلْوَحْيِ مَتَّبِعاً بِالْإِعْرَاضِ عَمَّا يَبْتَدِعُهُ الْمُشْرِكُونَ مِنْ الشُّبُهَاتِ وَالْإِيْهَامِ.

غرض الأمر في: ﴿وَأَعْرِضْ﴾:

الأمرُ بالإعراضِ عنِ المشركين في قوله تعالى: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ غرضه الإلزامُ والوجوبُ، إذ يُعَدُّ الإعراضُ عنِ المشركين جانباً رئيساً من جوانبِ اتِّبَاعِ وَحْيِ اللَّهِ، وهو الوجهُ الآخرُ لِاتِّبَاعِ ذَلِكَ الْوَحْيِ، فهو الجانبُ العمليُّ لِاتِّبَاعِ الْوَحْيِ، وهو الخلاصُ من رَكَكَةِ طُرُوحَاتِهِمْ، وسخافاتِ أَفْكَارِهِمْ حِيَالَ مَا أَوْحَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ مِنْ عَظِيمِ شَأْنِ الرِّسَالَةِ وَالرَّسُولِ وَالتَّوْحِيدِ وَالْهُدَايَةِ.

بلغة إيثار الأمر بالإعراض، دون التَّهْيِ عن طاعة المشركين:

جاءَ الأمرُ بالإعراضِ عنِ المشركين، في قوله تعالى: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾، ولم يُقَلْ: (ولا تطعِ المشركين): لأنَّ الإعراضَ عنهم أبلغُ من عدمِ طاعتِهِمْ، فَإِنَّ مُقْتَضَى الإعراضِ عدمُ الطَّاعَةِ، وليس مِنْ مُقْتَضَى عدمِ الطَّاعَةِ الإعراضُ، والمرادُ بالإعراضِ عنِ المشركين الإعراضُ عنِ مكابرتِهِمْ وأذاهِمْ، لا الإعراضُ عنِ دعوتِهِمْ، فهو الجانبُ العمليُّ الاجتماعيُّ لِاتِّبَاعِ الْوَحْيِ، فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَأْمُرْ رَسُولَهُ ﷺ بِقَطْعِ الدَّعْوَةِ لِأَيِّ صَنَفٍ مِنَ النَّاسِ كَانَ، وَكُلُّ آيَةٍ فِيهَا الْأَمْرُ بِالْإِعْرَاضِ عَنِ الْمُشْرِكِينَ؛ فَإِنَّمَا هُوَ إِعْرَاضٌ عَنْ أَقْوَالِهِمْ وَأَذَاهِمْ، لا عن دعوتِهِمْ إِلَى الدِّينِ وَالْإِيمَانِ⁽¹⁾؛ إذ لا يَقْتَضِي الإعراضُ عدمَ طاعتِهِمْ بما فيه مصلحةُ الدُّنْيَا، مع عَدَمِ التَّعَارُضِ مع أمورِ الدِّينِ.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 7/425.

نكتة إيثار لفظ المشركين دون الكافرين:

السياق يعالج موضوع الشرك بالدرجة الأولى، فهو العلة الحقيقية في عدم الاستجابة والخضوع، وقد أورد لفظ «المُشْرِكِينَ» دون (الكافرين) تناسبا مع ذكر التوحيد الخالص، فمن اتبع ما أوحى إلى الرسول من عند الله الذي لا إله إلا هو لا بد من أن يكون معرضا عما يأتي به المشركون من عبادة غير الله تعالى فذكر المشركين؛ لأنَّ وَصَفَ (الكُفْرَ) قَدْ يَنْصَرِفُ إِلَى معانٍ لا تَنْدَرِجُ بِالضَّرُورَةِ ضِمْنَ صَرْفِ الْعِبَادَةِ لِغَيْرِ اللَّهِ، بخلاف (الشُّرْكِ).

الشُّرْكُ هُوَ الْعِلَّةُ
الْحَقِيقِيَّةُ الَّتِي
تَقَابِلُ التَّوْحِيدَ
الْمَذْكُورَ فِي
السِّيَاقِ

المقابلة في الآية الكريمة:

بين قوله: «أَتَّبِعْ مَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ»، وقوله: «وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ» مقابلة بين جانبيين هما ميدان القضية في الآية القرآنية بين الاتباع لما أوحى من الرسالة من عند الله تعالى من جانب، والإعراض عما يقترحه المشركون مما يصب في هوى النفس والإعراض وتزيين الشيطان، وفائدة هذه المقابلة فرض المفاضلة بين الحق والباطل، وإيضاح الصورة الكلية، فلا يبقى عذر لمعتذر، ولا تقبل شفاعة بعد ذلك لشفيع، والخطاب للرسول ﷺ وهو عام للأمة كلها.

الْمُقَابَلَةُ الْبَدِيعِيَّةُ
تَخْتَصِرُ الْمَشْهَدَ
فِي قَضِيَّتَيْنِ لَا
ثَالَتَ لَهُمَا

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الحادي عشر، سورة الأنعام من الآية 59 إلى الآية 123
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

سنة الطبع: 1445هـ - 2024م

© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي

الطبعة الأولى: 2024م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:

مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: سورة الأنعام من الآية 59 إلى الآية 123 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم

الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-

الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2024.

مج. 11، 808 صفحة؛ 24x17 سم.

ردمك: 978-9948-798-63-7

يشتمل على ارجاعات بيبليوجرافية.

مج. 11: سورة الأنعام من الآية 59 إلى الآية 123.

1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-

ألفاظ أ- العنوان ب- مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).

قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي: 978-9948-798-63-7

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-9795022 بتاريخ 2023/12/19م،

مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري

الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»